القضايا السياسية في اهتمامات النخبة الإصلاحية الجزائرية في مطلع القرن العشرين "عمر بن قدور الجزائري أنموذجا"

د/ قرين مولود/ جامعة الدكتور يحي فارس /المدية.
mouloudgrine@gmail.com

الملخص:

يحاول المقال أن يجيب عن إشكالية اهتمام النخبة الإصلاحية بالقضايا السياسية في مطلع القرن الماضي، وذلك بتسليط الضوء على رائد الصحافة العربية في الجزائر الشيخ عمر بن قدور الجزائري، وتحليل مضمون كتاباته الصحفية، وابراز أهم القضايا التي أولاها العناية والاهتمام خاصة قضية التجنيس والتجنيد الإجباري.

The essay tries to answer the problem of the reformist elite in political issues at the beginning of the last century by highlighting the pioneer of the Arab press in Algeria, Sheikh Omar Ben Qadour, and analyzing the content of his writings and highlighting the most important issues of concern and attention, especially the issue of naturalization and forced recruitment.

تمهيد:

لا شك أن الظاهرة التي ارتبطت بالحركة الإصلاحية الجزائرية في بداية القرن العشرين، هي الاهتمام بالجانب الديني والاجتماعي للجزائريين والعزوف عن المسائل السياسية، إلا تعريضا أو تلميحا،وذلك خشية ما ينجر عنها من مضايقات الإدارة الفرنسية التي لا تتوان في تكميم أفواه الوطنيين ، ومما لا شك فيهأنهم تأثروا كذلك بتعاليم "محمد عبده" الذي يرى "بأن السياسة ما دخلت عملا إلا أفسدته". والمتتبع لنشطات رواد النهضة الجزائرية – خاصة النخبة الإصلاحية- يلاحظ أن أغلبهم كان يصرح في

بداية نشاطه بأنه رجل إصلاح، وليس لنشاطه علاقة بالسياسة، وهذا ما نلمسه خاصة لدى الصحفيين الذين يحاولون الحفاظ على جرائدهم من المصادرة والتعطيل.

ويعد " عمر بن قدور" أحد هؤلاء الذين اتخذوا موقفا معاديا للسياسة والسياسيين، ففي الأعداد الأولى من جريدتيه في الجزائر (الفاروق[1] والصديق[2]) أعلن صراحة أن غايته من الكتابة الصحفية هي دينية وتربوية واجتماعية لا علاقة لها بالسياسة ،وفي ذلك قال:"...و أعذنا اللهم من السياسة ومآزقها وامنعنا أضرارها وبوائقها، إنها لهول شديد وشر مبيد ، فويل للضعفاء منها، ومن تلوناتها وتقلباتها لقد عتت عليهم عتوا كبيرا، وملأت قلوبهم رعبا فما كان بعضهم لبعض ظهيرا، فاكفيهم اللهم هذا الشر المستطير..."[3].

فما مدى التزام "بن قدور" بذلك؟. وهل كان العزوف عن السياسة مبدأً راسخا في فكر "بن قدور"؟، أم أن دعوى الحيطة و الحذر من مضايقات الإدارة الفرنسية جعلته يعلن الابتعاد عن المسائل السياسية؟.

وقبل إشكالية الموضوع بودنا أن نقدم ترجمة موجزة لشخصية بن قدور.

1-عمر بن قدور الجزائري (1886-1932م):

ولد "دزيريل عمر" (DziriL Omar) ابن "قدور بن سعيد"، وابن "باسن يمينه" بنت "أحمد" سنة(1886م) ،بمدينة "الأربعاء" ضواحي الجزائر العاصمة[4]، ويعرف "بعمر بن قدور الجزائري"، ولا ندري صفة الجزائري التي ألحقها بإسمه هل كانت تغييرا طفيفا للاسم العائلي "دزيريل"، أم نسبة إلى وطنه الجزائر؟. ولكن الراجح أنه ألحق هذه الصفة باسمه نسبة إلى وطنه. فكان "بن قدور" كغيره من الجزائريين الذين كانت لهم نشاطات فكرية خارج الجزائر، إذ كان أغلبهم يلحقون صفة الجزائري بأسمائهم الأصلية، التي كانت على ما يبدو اعتزازا صادقا منهم بإنتمائهم، وإمتداد الجزائر الطبيعي للعالم

العربي والإسلامي، وتفنيدا لمزاعم الاستعمار الفرنسي القائلة بفرنسة الوسط الجزائري. كما كان يوقع بعض كتاباته بأسماء مستعارة مثل "أبو حفص" تيمنا بخليفة المسلمين الثاني "عمر بن الخطاب"، أو "الأصلع"، وذلك ربما تجنبا لمضايقات الإدارة الاستعمارية العاملة على قمع كل ناقد لسياستها. ورغم أن "بن قدور" لم يترك لنا ما يساعدنا على التأريخ لنسبه وتفاصيل حياته لأنه – حسب صالح خرفي– كان منشغلا بكل صغيرة وكبيرة شغلت عصره[5]. إلا أننا من خلال كتاباته، نستطيع أن نستنتج أنه كان ينتمي إلى أسرة جزائرية عريقة، تهتم بالعلم والأدب، حريصة على غرس تعاليم الإسلام في نفوس أبنائها، فكان أبوه شديد الحرص على اِصطحابه إلى مجالس والفكر، خاصة إلى "مسجد سيدي رمضان" بالعاصمة، وهدف أبوه من وراء ذلك–حسب ما ذكره "بن قدور"– "تدريبه على الصلاة، وترويض ذهنه الصغير على التدين، والتحلي بأخلاق الإسلام"[6]. وقد أرسل "بن قدور" إلى الكتاب وعمره لا يتجاوز خمس سنوات أو ستاً، وفي نفس الوقت كان يتردد على "المدرسة الثعالبية"، فحفظ القرآن الكريم، واِكتسب مبادئ اللغة العربية ، ثم التحق "بالمدرسة الرسمية" التي كان التعليم فيها مزدوج اللغة، يهدف إلى تكوين الأئمة الرسميين والقضاة بالعربية[7]. ويشير " زهير إحدادن" إلى أن "بن قدور" لم يستمر طويلا في هذه المدارس، فسرعان ما تركها وسافر إلى تونس ثم إلى مصر ليتم تعلمه باللغة العربية[8].

ولقد ساهمت مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية في نحت شخصية بن قدور، فالداخلية تتمثل في التنشئة الأسرية التي تلقاها بن قدور، فقد نشأ في أسرة تهتم بالعلم والأدب كثير كما قلنا آنفا، وكذلك تأثره بالرواد المصلحين الأوائل، أمثال " السعيد بن زكري"(1815-1914م)[9] ، فبعد وفاة بن زكري خصص له بن قدور مقالا رثائيا في الفاروق بين فيه مدى التأثير الطيب للدروس الشيخ التي كان يحضرها صغيرا مع أبيه

وكبيرا في مسجد "سيدي رمضان" بالعاصمة[10].أما الأستاذ "عبد القادر المجاوي" فقد ترك أثرا طيبا في شخص "بن قدور" عن طريق دروسه ومؤلفاته، وما يظهر مدى تأثر "بن قدور" بأستاذه هو أن جعله في مرتبة والدته، حيث اِنتقلا إلى ذمة الله في يوم واحد، فخصص لهما مقالا رثائيا واحداً، وبدأ يعد فضل كل واحد منهما عليه، وكان مما قاله في أستاذه :"... ذلك الأستاذ الذي طالما قربني إلى مجلسه، وأفرغ على ذهني من قلبه دروسًا علمية حليلة، وتهذيبا روحيا عاليا، ومعارفاً لا أدري من بعد من يصبها صبا على أذهان الرجال ...ذلك الأستاذ الذي أحسن تعليمي وتهذيبي، فأصبحت بفضله وحسن اِعتنائه بالمتعلم، أقف هذا الموقف بين الصحفيين أبكيه...إني لا أنسى مجالسك التي حضرتها بين يديك وكانت لي مهذبة ولبلاغتي ونبوغي مرشدة...". واِعتبر وفاته ليست مصيبة عليه وحده فقط وإنما مصيبة الجزائر كلها، نظراً لجهوده الإصلاحية، ودوره في نشر العلم ومحاربة الجهل "وتنبيه الغافلين"[11] . ويبدو أنه كان متأثرًا "ببن الموهوب"، حيث اطلع على قصيدته "اللّمع على نظم البدع"، وقام بالثناء عليها في "جريدة الفاروق"، إذ بين أهميتها قائلا:"...إذا طالعها المطالع بإمعان تذّكر محامد الإسلام، وانتبه إلى مفتريات الكهن، وخُزعبلات النازعين إلى عبادة الجن وتقديس الشياطين ... وليس بمخطئ إذا حدّثتُ أن اللّمع حجة للمرشدين، لا يفوتهم بها البرهان ....فأصبح سراجًا منيرًا يبعث أشعته في كافة أنحاء الشعب تحي القلوب وتنتعش الأرواح بينما ظلمات البدع والمنكرات تضمحل بين يديها وتتلاشى إلى الأبد..."[12]. ومن الأساتذة الذين تأثر بهم "بن قدور" الأستاذ "عبد الحليم بن سماية"(1866-1933م)، وما يبرز تأثر "بن قدور" بأستاذه "بن سماية" هو إشادة "بن قدور" بمواقف أستاذه، خاصة موقفه الرافض لقانون التجنيد الإجباري، ومما قاله في "بن سماية": "...الأستاذ العالم العلامة بن سماية البقية الصالحة والجهبذ الناسك..."[13].

وإلى جانب تأثر "بن قدور" برواد النهضة الأوائل، فإن إجادته لفن تصفيف الحروف في المطابع مكنته من الاحتكاك ببعض الصحفيين الجزائريين والفرنسيين، ومن المطابع التي اشتغل فيها "بن قدور" مطبعة "فونتانا" في العاصمة كما أشار إلى ذلك[14]، والمطبعة العربية التي أسسها "أبو اليقظان"[15]ومطبعة "كريزا تشو" الإيطالي[16].كما جمعته علاقة صداقة مع بعض الصحفيين الفرنسيين، فقد جمعته علاقة قوية مع الصحفي "فيكتور باروكاند"(v.Barrucand) صاحب جريدة"الأخبار"(L'Akhbar)والصحفي "كلومب"(Kolomb)، و"ميتياكترونغا"(MetequeTrenga)، وقد علقت جريدة "الإسلام"[17]عن العلاقة التي ربطت "بن قدور" بهؤلاء الناشرين، إذ حاولت أن تألب ضده السلطات الفرنسية، وادعت بأن إصدار "الفاروق" كان تتويجًا للعلاقة التي ربطت "بن قدور" بهؤلاء الناشرين المتعاطفين مع الأهالي والمعادين للسياسة الحكومة الفرنسية في الجزائر، كما عدته من حزب "الجامعة الإسلامية" المعادي لفرنسا، غير أن "بن قدور" ردّ على جريدة "الإسلام"، وبيّن أن سبب كتابتها ضد شخصه هو" الاغتياظ من جريدة الفاروق" خاصة بعد فشل النسخة العربية لجريدة "الإسلام"[18]. فالعلاقة التي ربطته مع هؤلاء الصحفيين كانت على ما يبدو من وراء إنماء حسه الصحفي وقوة نبوغه في الكتابة.

أما العوامل الخارجية فتتمثل في احتكاكه بالشباب التونسي، وإقامة علاقات صداقة مع بعض الوطنيين والمثقفين التونسيين، خاصة الذين ينحدرون من أصول جزائرية، إذ كان لهؤلاء دور كبير في توطيد علاقة الجزائريين بالشباب التونسي[19]. وفي مقدمة هؤلاء "الطيب بن عيسى"[20]وقد أشار "بن عيسى" للعلاقة التي ربطته مع "بن قدور" بقوله:"...لقد عرفناه بالمكاتبة والتقيناه مرتين بتونس ومرة في الجزائر..."[21]. ويبدو كذلك أنه كان متأثرا بمواقف وأراء "سليمان الجادوي" (ت1951م) صاحب

جريدة "مرشد الأمة"[22]. وكان بن قدور قد اِستقبل "الجادوي" سنة 1910م وقال فيه: "...وجدناه بحرًا زاخرًا في العلم والسياسة ... يتدفق غيرة على الإسلام وأهله، وفي رأي جنابه أن مطالبة الجزائريين والتونسيين بحقوقهم الحيوية من دولة الجمهورية أمر ضروري ..."[23]. كما كانت له علاقات صداقة مع بعض الوطنيين التونسيين أمثال "حسين الجزيري"[24]الذي يعتبره "صالح الجابري" من" أصغر الصحفيين النابغين وأشد المدافعين عن القضايا العربية والإسلامية"[25]، والسيد "الصادق الرزقي"، و"إبراهيم فهمي بن شعبان" الذين سنجدهم يشكلون أسرة "الفاروق" ويساندون من تونس مشروع "بن قدور" النهضوي.

وإلى جانب تأثر "بن قدور" بأوضاع تونس ومثقفيها، فإنه كذلك تأثر بدون شك بأوضاع المشرق العربي التي كانت تصل أصداءها إلى الجزائر عن طريق المجلات والجرائد. فحسب الدكتور "عبد المجيد بن عدة" "فإن الجزائريين كانوا في باكورة القرن العشرين يترقبون بشوق ملتهب وصول بريد المشرق العربي الذي كان يحمل إليهم كتب علمائه ومجلاتهم التي تنشر مقالات وأفكار مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش وغيرهم من قادة الحركة الفكرية وأرباب الأقلام العربية في مصر"[26]. فمما لاشك فيه أنه تأثر بكتابات "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده" الداعية إلى الوحدة والاِئتلاف الإسلامي في إطار "الجامعة الإسلامية"، والتصدي للاستعمار بكل أشكاله وألوانه التي كانت تنشرها جريدة "العروة الوثقى"، التي كان لها دور كبير في نهضة العالم الاسلامي رغم قصر عمرها الذي لم يتجاوز ثمانية عشر شهرًا. ولعل أهم مجلة أثرت في فكر "بن قدور" وفي مساره الإصلاحي هي " مجلة المنار" لصاحبها السيد "محمد رشيد رضا"، فقد وصفها "بن قدور" "...بمنار الهدى ... والرشاد...والنور الذي يسترشد به المؤمنون..."[27]. ومن الجرائد التي أثرت فيه كذلك "جريدة المؤيد" و"اللواء" المصريتين

ذات الخط السياسي الداعيتين إلى "الجامعة الإسلامية" تحت لواء الخلافة العثمانية الإسلامية، وقد ذكر "بن قدور" بأن "اللواء" كانت تصله إلى الجزائر بشكل منتظم، وأنه كان يقوم بشرح ما ورد فيها لعامة الجزائريين الذين لا يجيدون القراءة[28]. فتأثر "بن قدور" بالجرائد المصرية كان على ما يبدو وراء هجرته إليها، أين تمكن من الاحتكاك ببعض المصلحين والسياسيين المصريين، في مقدمتهم "مصطفى كامل" الذي تأثر بمواقفه السياسية ضد الاستعمار، وبدعوته إلى الاتحاد الإسلامي، وحسب ما ذكره "ناصر"، "فإن بين الكاتبين شبه جد قريب في فكرة التضامن، إذ كليهما يؤمن بضرورة مساندة الدولة التركية كقاعدة إسلامية تجمع قلوبهم"[29]، ما يظهر المكانة التي كانت "لمصطفى كامل" في نفس "بن قدور" هو أنه بعد وفاة "كامل" قام "بن قدور" برثائه بقصيدة شعرية مليئة بالشعور الوطني نشرت في "اللواء" وجرائد آخرى[30] .

أما عن تجربته الصحفية فقد بدأها وعمره لا يتجاوز عشرين سنة، فعمل كمراسل لجريدة "المؤيد" و"اللواء" المصريتين سنة 1906م، كما كان مواظبا على مكاتبة جريدة "الحضارة"[31]التي كانت تصدر بالأستانة لصاحبها "عبد الحميد الزهراوي"[32]. كما سن هو وزميله راسم بادرة التواصل الفكري بين الجزائر وتونس من خلال المراسلات الصحفية، فكتب في جريدة "التقدم"[33]التونسية منذ سنة 1908م، وما إن تعطلت "التقدم" حتى التجأ "بن قدور" إلى مراسلة جريدة "المشير" ثم "الوزير"[34]،وكثيرا ما كانت هذه الجرائد تعيد نشر ما كتبه "بن قدور" في "الحضارة"، سعيا منها إلى إطلاع الرأي العام التونسي على حقيقة ما يحدث في الجزائر. كما نشر بعض القصائد في جريدة "الزهرة"[35]، وجريدة "مرشد الأمة" وجريدة"الحقيقة"، التي نشر بها كتابا متسلسلا بعنوان "منبر العبر"، الذي أعاد نشره كاملا في جريدة "الأخبار" وكانت كتاباته في هذه الجريدة باسم مستعارا وهو "كاتب نابغة من الجزائر"[36].

أما في الجزائر فقدساهم "بن قدور" بكتاباته شعرًا ونثرًا في عدة صحف عربية في الجزائر، وقام بإصدار جريدتين خاصتين به، وهما "الفاروق" و"الصديق". وكانت أول جريدة كتب فيها " بن قدور" على ما يبدو هي جريدة "الهلال"[37]، ثم جريدة "الأخبار"، التي التحق بها بعد عودته من المشرق سنة 1908م،بدعوة من مديرها "باروكاند"،واشتغل بها كمدير ومحرر للقسم العربي. وقد ظهر اسمه على هذه الجريدة يوم 15أفريل سنة1908م[38].

ومن خلال كتاباته الصحفية حاول بن قدور النهوض بالمجتمع الجزائري، فدعا إلى ضرورة محاربة البدع والخرفات، كما دعا إلى التعليم والتعلم باعتباره السلاح الذي يمكن به مواجهة العدو وسياساته، كما عارض سياسية التجنيد الإجباري منذ أن كان مجرد مشروع سنة 1908م في الجرائد التونسية، ودعا المسلمين إلى الاتحاد في إطار "الجامعة الإسلامية" ، فهذه الأفكار الجريئة التي طرحها عمر بن قدور في وقت مبكر، جعلت السلطات الفرنسية تصدر ضده قرارا عسكريا يوم 27 جانفي 1915م يقضي بتعطيل "الفاروق" ونفي صاحبها إلى "الأغواط" جنوب الجزائر[39]، وقد سيق "بن قدور" إلى منفاه الذي يبعد عن عاصمة الجزائر حوالي أربعة مائة كيلو متراً (400كم) مشيا، حتى "قدماه انتفختا وجرحتا جروحا بليغة" على حد تعبير زميله "الطيب بن عيسى"[40]. وبعد خروجه من المنفى حاول بن قدور العودة إلى الكتابة الصحفية، غير أنه سرعان ما تركها لينغمس في شبه عزلة صوفية، بعدما تبنى الطريقة التيجانية التي دافع عنها في كتابه الذي أسماه "الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة" نشره سنة 1928م، وظل كذلك إلى غاية أن وافته المنية سنة 1932م وعمره لا يزيد عن (46) سنة

1- انتقاده لجشع الكولون ويهود الجزائر:

أن سيطرة الكولون وجشعهم، ووقوفهم ضد كل محاولات الإصلاح، دفعت الوطنيين الصادقين من خلال كتاباتهم الصحفية وعرائضهم الموجهة إلى سلطات الاحتلال- إلى ملاحقتهم وفضح حيلهم الخسيسة التي يتوارون من خلفها إلى ابتزاز أموال المسلمين .

كما عملت الصحافة الوطنية على تنبيه الأهالي من خطورة سيطرة الكولون واليهود على مستقبلهم، ويلاحظ هذا التوجه منذ البدايات الأولى للصحافة العربية الجزائرية، فجريدة "الحق العنابي"[41] كتبت في صفحتها العربية نقلا عن مقدمة لكتاب فرنسي لصاحبه "جورج كورنيليان" تبين دسائس اليهود ومكرهم وأهم ما جاء فيه: "...إن الشر يحل أينما حل اليهود، والضرر ينزل إذا نزلوا، فما دخلوا مملكة إلا واستنزفوا دماءها المادية والمعنوية، ولا ولجوا بلدا إلا وسلبوا أموالها، واغتالوا نسائها ورجالها..."[42].

أما الصحفي بن قدور فيعدمن الأوائل الذين تفطنوا إلى مكر اليهود والمعمرين، وهذا ما نلمسه في كتاباته الصحفية التي كان ينشرها في الصحافة العربية والجزائرية. فقد شبه حالة الجزائريين في ظل هذه السيطرة بحالة "البهائم والحيوانات السائمة"[43]، في حين أن الأوروبيين الذين فتحت لهم أبواب الجزائر، ومنحت لهم الأراضي الخصبة أصحبوا أسيادا يسيطرون على جميع مناحي الحياة، ويسعون إلى وضع الجزائري في أدنى الدرجات بعد الأوروبي واليهودي الذي أصبح مواطنا فرنسيا بفضل قانون "كريميو "، وفي ذلك يقول :"...ففرنسا لما رسخت قدمها في هذا الوطن، فتحت أبوابها لكل ضيف ، فمنحت لهم الأراضي، وتقوى مركزهم الاقتصادي والسياسي ،وقالوا أن المسلمين متوحشين ووضعوهم في أدنى الدرجات بعد الفرنسي واليهودي ...".ولم يكتفوا بالسيطرة الاقتصادية والسياسية، والتضييق على المسلمين فقط " ...بل حتى من امتهانهم و التنكيل بحقوقهم والتشنيع بعواطفهم ..."[44].

وفي نظر" بن قدور" أن سبب تلك السيطرة والتسلط "...التي لا ترتاح له الضمائر الحرة ولا تسمح به العواطف الشريفة ..."[45]، يعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة الدستور الفرنسي الذي وصفه "...بالسياج باطنه رحمة لهم وعذاب على من هو أمامهم من البشر"[46]. فالدستور الفرنسي المنبثق عن الثورة الفرنسية مجرد حبر على ورق، ومزاعمهم القائلة بأنهم أصحاب حضارة وتمدن وأنهم حماة الإنسانية وزعماء الكمال البشري هو ضرب من ضروب الخيال .

فالأوروبيون حسب "بن قدور " هم أكثر الناس تعصبا لقوميتهم وبني جلدتهم، ودليل ذلك "...أنهم لم يجعلوا الحرية والشورى مثُلا مطلقة التصرف ينال منها مغلوبهم القسط الذي يناله غالبهم بل قيدوا له حدودا لا تتعدى الشخص الذي ينتسب إليهم جنسيا أو دينيا ... "[47].

فالأوروبي دائما يعمل على حرمان الأهلي من الرفاهية والسعادة، ويدعون أنه متوحش ليس أهلا لها، فتعجب "بن قدور" لذلك وقال :"...كأنهم خلقوا من أصل دنيء وهو خلق من أصل شريف، فهذا هو الإنصاف؟!.."[48].

إضافة إلى ذلك فهم يتهمون الأهالي بالتعصب العرقي والديني، ويرون في إصلاح أحوالهم خطرا عظيما على مستقبلهم في الجزائر، وما يفند زعمهم – في نظره – تلبية الجزائريين لمختلف نداءات الحكومة "خاصة التجنيد الإجباري"، فقال:"...فتلبية العرب لنداء الحكومة وإسراعهم لمحاربة إخوانهم المغاربة تحت الراية الفرنسوية أكبر دليل وأوضح برهان على عدم وجود التعصب في القطر الجزائري، فأين ما تبدرون به حجتكم هذه التي بنيتم عليها العلا لي والقصور ..."[49].

وبدافع الجشع والطمع الذي يتميز به الكولون فهم يعارضون كل مشاريع الإصلاح الرامية إلى تحسين أوضاع الجزائريين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بدعوى

تعرض مصالحهم للخطر، وفي هذا الصد قال:"...وحرص هذا الشعب على حفظ سيادته والعمل على تأييدها بدافع الشره والطمع و إن المنح (يقصد به إعطاء الحقوق)إن قدر حصوله يثير هيجانا عظيما في النازحين إلى أقطار إفريقيا من المعمرين، إذ يسوؤهم أن يقفوا مع الذين كانوا خدمة وعبدا لهم جنبا بجنب في موقف الحياة السياسية والاجتماعية، يسوؤهم أن يبصروا قوما متوحشين يساوونهم في النعت الإنساني الذي احتكروه لأنفسهم من دون العالمين..."[50].

وفي مقال "سياسة فرنسا في شمال إفريقيا " الذي ألحقه بصورتي "جونار"و"لوتو" بين أن هناك بعض الولاة الفرنسيين كانت لهم نية التغيير وتحسين أوضاع الجزائريين خاصة "جونار" الذي عبر عن غايته "...بوجوب فتح القلوب والعواطف كما فتحت الأوطان لكنه وجد الأبواب موصدة أمامه فهذه الأبواب لم تكن باسم الجمهورية وقوانينها ونظامها بل بشراهة المستعمرين وطمعهم ..."[51].

وتحت عنوان" تعصب ممقوت" بين"بن قدور" كيف عارض أحد المعمرين وهو" ديردون" مشروع" شارل لوتو"، القاضي بزيادة عدد نواب المسلمين في المجالس البلدية، "فشارل لوتو" اقترح أن يكون المجلس البلدي في العاصمة يتكون من ثلاثة عشر(13)عضوا عوض ستة كما هو الحال الراهن، غير أن النائب الفرنسي" ديردون" اعترض على هذا المشروع بقوة،مما أدى إلى صراع كبير بين النواب الأوروبيين والنواب المسلمين انتهى باقتراع عام كان لصالح الأوروبيين، مما جعل المسلمين يخرجون من المجلس تعبيرا على احتجاجهم[52].

وفي ركن "المسألة الأهلية" التي كان يخصص لها عمودا في "الفاروق"، يعرض "بن قدور" أغلب المسائل الأهلية التي تناقش في البرلمان الفرنسي، ومعارضة المعمرين لكل المشاريع الإصلاحية، مثل اجتماع البرلمان الفرنسي يوم(16 ديسمبر 1914م) الخاص

بمناقشة السياسة الفرنسية في شمال إفريقيا ،ففي الاجتماع أبدى الكثير من الفرنسيين استيائهم من قانون الأهلي خاصة الوالي السابق "جونار" الذي قال :"...أن السياسة ليست بالقوة بل بالعدل يصح تأسيس حكمنا في أفريقيا، وأنه يحصل الأمن من الثورات وتخمد نار الضغائن والأحقاد، وتقام الأحكام على الإنصاف، وإن قهر المغلوبين بهمجية المحاربين وليس بمذهب الدولة، يجب على فرنسا أن تظم إليها الجزائر كما ضمت عدة ولايات بالعدل والإحسان..." ، لكنه لقي معارضة كبيرة من طرف المعمرين.وفي أسلوب التودد و التشكي للإدارة الفرنسية، ناشد "بن قدور"أرباب الكلمة المسموعة الفرنسيين لرفع الغبن عن الجزائريين، وتخليصهم من سيطرة المعمرين حيث قال:"...شكوانا إلى الجمهورية الفرنسية شكوانا" وقال:"...إلى أمة العدالة والحرية، شكوانا إلى ربة المعارف والإنصاف من القوم الذين تسربوا إلى بلادنا، فاقتطعوا الأراضي، واقتسموا البلاد، وسلبوا الأرزاق ثم لم يكفيهم ذلك حتى اتهمونا بوصمة التعصب الذميم، وجعلوا مركزهم المتين الرفيع في خطر بإيذائنا، اللهم إن هذا لهو البهتان العظيم، على إننا نعتقد تمام الاعتقاد أن هؤلاء القوم مهما تربصوا بنا وبنوا لنا المكائد إلا والليالي ستبدي لأنظار الجمهورية تلك الأعمال الذميمة ..."[53] .

والظاهر أن أسلوب الاستعطاف والتشكي للإدارة الفرنسية، ومدحها أحيانا، كثيرا ما أوقع "بن قدور" في تناقض أحكامه ومواقفه، ففي البداية كان يرى بأن الحكومة الفرنسية التي شجعت الاستيطان ومنحت الجنسية لليهود وعملت على تقوية مركزهم الاقتصادي والسياسي، هي سبب ما لحق الجزائريين من مذلة. كما أنه يرى سبب السيطرة وإذلال غير الأوروبيين يرجع إلى طبيعة الدستور الفر نسي، وفي نفس الوقت يقول بأن الجمهورية الفرنسية جمهورية عدل وإنصاف، وأن حالة الجزائريين المزرية ليست نتيجة القوانين الفرنسية، فهل يمكن الفصل بين القوانين الفرنسية والدستور الفرنسي

ياترى؟. وما يوقعه في عين التناقض هو اتهامه للجزائريين بأنهم هم المسؤولون عن حالتهم الاقتصادية والاجتماعية، حيث قال:"... فمن الغبن أن يعتقد فريق(يقصد الأهالي) أن حقه لم يهضم إلا لأنه مغلوب على أمره..."[53]. فلو اكتفى "بن قدور" بذلك فمعه كل الحق – حتى ولو علمنا أن الجزائريين كانوا قد جربوا كل وسائل المقاومة، وأنهم مقيدون بقانون الأهالي- إذ لا يعقل أن يبقى الإنسان مكتوف الأيدي وحقوقه تضيع، لكنه ذهب إلى أبعد من ذلك حيث يرى أن مسؤولية الجزائريين على ذلك لا تكمن في استكانتهم والتسليم بضعفهم فقط ، وإنما يعود إلى فترة ما قبل الاحتلال، إلى الانحطاط الذي كانت عليه الجزائر!، فقال "...إن فرنسا لما قدمت إلى هذه الديار وجدت المسلمين في انحطاط وحالتهم الاجتماعية والأخلاقية منبعثة نحو الحضيض...فلما رسخت قدمها في هذا الوطن اضطرت إلى فتح أبوابه لكل ضيف يسعى في أثر القوت لترقية حالة البلاد الاقتصادية، فلم يفت(هكذا) أحدهم مركزه الاقتصادي، على حين أن المسلمين كانوا على أحط درجات الغباوة لقلة معلوماتهم وضعف قوميتهم في المعتقدات والعمليات، وبلا شك كانت تشوفاتهم الاقتصادية تتوارى وتضمحل أمام تشوفات الضيوف ... وفي أقصر وقت خُصبت الأرض التي كانت مجدبة، وظهرت نتيجة الإصلاح في وطن ضيعه أهله نتيجة يعترف بها كل منصف..."[54].

لكن يبدو أن حقيقة الجزائر قبل الاحتلال كانت عكس ذلك تماما، إذ كانت قوية سياسيا واقتصاديا، وذلك بشهادة الفرنسيين أنفسهم، وما يثب ذلك أن الغرفة التجارية لمدينة "مرسيليا" الفرنسية قد ضربت في أواخر القرن الثامن عشر "سكة" تمثل فيها إفريقيا قابضة في يدها "قرن الخيرات" تخرج منها السنابل، وهي رمز القوة والازدهار الاقتصادي[55]. واهتمام الجزائريين قبل الاحتلال بالزراعة وخدمة الأرض، قد

جعل من الزراعة تساهم مساهمة كبيرة في خزينة الدولة ونفقاتها المختلفة. والجدير بالذكر أن فرنسا أصبحت مدينة للجزائر بفضل هذا الازدهار الاقتصادي والخيرات المتدفقة.

كما أن قوله بأن الجزائريين كانوا على درجة كبيرة من الغباوة هو طرح استعماري محض، يوافق القائلين بأن فرنسا وجدت الجزائر منحطة، وسكانها القليلون بدائيون ومتخلفون، مثل ما ذهب إليه المؤرخ الفرنسي "لوروا بوليو" في كتابه (الجزائر وتونس) قال: "...أن جميع الدول التي أسست مستعمرات أنشأتها في أقطار شاغرة أو قليلة السكان، فاحتلت أقطاراً سهلة الغزو تكثر فيها الأراضي المهملة لا أرباب لها..."، غير أن الحقيقة كانت عكس ذلك تماماً ففرنسا استولت سنة 1830م على قطر "آهل عامر غني زرعا وضرعاً" على حد تعبير فرحات عباس[56].

أما التعليم فكان منتشراً بشكل كبير، وهذا بشهادة الفرنسيين أنفسهم، فمثلاً "إسماعيل أوربان" (Ismaël Urbain) أكد "أن التعليم الابتدائي كان منتشراً، وأن عدد الذين يحسنون الكتابة والقراءة كان مماثلاً على الأقل للمعدل السائد في أوربا حوالي سنة 1845م".

2- دفاعه عن الوطنية والهوية العربية والإسلامية للجزائر:

لقد بادرت الادارة الاستعمارية منذ بداية الاحتلال إلى القضاء على العناصر الجوهرية للأمة الجزائرية،حتيسهل عليها إذابة المجتمع الجزائري وصهره في بوتقة المجتمع الفرنسي، مما جعل جل المفكرين والكتاب الجزائريين يشعرون بخطورة ذلك، فعملوا على إحياء وبعث الوطنية الجزائرية، ومن أشهر هؤلاء "عمر بن قدور"، الذي انتصر للوطنية باعتبارها الوسيلة الوحيدة التي تمكن من لم الشعب الجزائري، حتى يتسنى له مواجهة الأخطار المحدقة به، فالوطنية في نظر "بن قدور" هي "القوة الفعالة في ترقية الأمم وبها تبقى الأمم خالدة"، واعتبر أنه "لا حياة لمن لا يشرب نخب الوطنية الحقة"[57].

وفي مقال: "التقدم بقوة الوطنية" الذي نشره في جريدة "التقدم التونسية" بين "بن قدور" بأن الوطنية هي الغيرة المحركة للقلوب، تدفع الشخص للتضحية بكل ما هو نفيس من أجل سعادة أبناء وطنه، حيث كتب قائلا:"...إذا تخللّت قلوب قوم رفعتهم، وإذا سادت في أمة رقّتها وأعلت قيمتها لأنها عبارة عن "الغيرة" المناقضة "المنافية". ولها أشعة من نور لا حدَ لأطرافها لأن فيها تضحية ما في النفس حباً فيما للغير من أبناء الوطن..."[58].

وحسب "إحدادن" فإن "بن قدور" هو أول من نطق بكلمة "الوطنية" في جريدة استعمارية وهي "الأخبار"، و يقصد بالوطنية تلك الخصائص التي تميز الجزائر و تجعلها منفصلة عن فرنسا، ويظهر هذا بوضوح في مقاله "مبدؤنا بقوة الوطنية نتقدم "، و مما جاء فيه: "...فالمبدأ الذي يجب علينا أن نحميه ونقوم بخدمته ، ونجعله أساسا متبينا لأعمالنا هو الوطنية، وكفى بها قوة إذ بمثلها تتقدم الأمم وتسدد الهمم..."[59].

كما طالب بضرورة النظر إلى مستقبل الشعب و التفكير في مصيره ، وما يسدد الخطى نحو مستقبل أفضل هو الاقتداء و الاعتبار بمن أحرزوا المجد عن طريق الوطنية ، وأعلن صراحة أنه سيحذو حذو هؤلاء ولو كلفه ذلك غاليا ومما قاله في ذلك:"...فإذا كان تقدمنا بقوة الوطنية العالية، عند ذوي الأغراض هو التهور في التقدم فنحن أول المتهورين ...ألا حيا الله الوطنية وكل من يشجع القائمين على خدمتها لأنها القوة الفعالة في ترقية الأمم..."[60].

يبدو أن "بن قدور" كان يدرك ما يلحق بالذي يتغنى بالوطنية من طرف الادارة الاستعمارية، التي كانت تتربص بأي شخص يجرؤ في الجزائر على مطالبة فرنسا بتحسين أحوال مواطنيه، فتتهمه "بالوطنية"[61]، وتلحق به أشد العقوبات، لذلك نجد "بن قدور" يستعمل عدة مصطلحات للدلالة على الوطنية مثل "القومية" و "الأمة" أو الشعب

والوطن، ولكن الهدف كان واحدا ألا وهو بعث الهوية الإسلامية الجزائرية كأمة منفصلة عن فرنسا.

وبعد أن أفصح "بن قدور" عن هدفه في أول مقال نشره في "الأخبار"، حاول في مقالاته الأخرى أن يبرز روابط المجتمع الجزائري، ويقدم أسباب انحلالها وعناصر إحيائها والنهوض بها، مبينا أثارها الإيجابية على الفرد المسلم خاصة وعلى مستقبل الأمة الجزائرية عامة.

وفي نظر "بن قدور" أن المسؤول الأول عن تلاشي المقومات الجزائرية هو الاحتلال الفرنسي الذي حارب كل ما من شأنه إنماء الشخصية الجزائرية ويجعلها متميزة عنه، ويقول في ذلك:"...إن القومية التي بسطت سلطتها علينا ليست بقوة همجية ،ولا بقوة دينية بل هي قوة استعمارية محضة من صلاحيتها أن يكون عددنا ناميا ونعرتنا مضمحلة وأخلاقنا في فوضى، لتستفيد من وراء تلك الفائدة التي تطلبها وهي التمتع بتمكين القوة..."[62].

أما السبب الثاني فهو الجهل الذي جعل الجزائريين غير عارفين بتاريخ أسلافهم المشرق، واعتبارهم الحاضر أحسن من الماضي ،واحتقار النزعة الدينية أو البعد الروحي، وكذلك الركون إلى مستحدثات البدع التي أثرت على العبادات الصحيحة ،إضافة إلى عدم تكامل عناصر الاجتهاد بالعودة إلى أصوله ،مما أدى إلى إتباع علماء الدين الجامدين أو المقلدين المتأثرين بالانحرافات الماسة بجوهر الدين[63].

وباعتبار النزعة الروحية الركن الأساسي لبعث الذات الإسلامية للجزائر يرى "بن قدور" ضرورة تصحيح العقيدة، ومحاربة البدع حتى تتأثر بها القلوب ويندفع الأفراد للعمل بكل ثقة تحقيقا للذات بين الأمم، خاصة وعالم اليوم يتميز بالصراع الحضاري والبقاء فيه للأقوى.

ففي نظره أن الأمة إذا أرادت أن يكون لها وجود بين الأمم عليها أن تحافظ على مقوماتها وتدافع عنها، ثم يتساءل كيف للأمة أن تحقق ذلك وهي مستعمرة؟ ويجيب عن سؤاله بضرورة إصلاح حالتهم الروحية، وتنظيم حياتهم الأخلاقية، فلو تمكن المسلمون من ذلك تشرق عليهم شمس القومية، التي ستظهر من جديد بهيئة جديدة "غير تلك الهيئة التي ظهر بها الأسلاف من قبل وإن كان التاريخ يعيد نفسه..."[64].

ويعتبر "بن قدور" أن الصدمة الاستعمارية للجزائر وباقي الدول الإسلامية تعد دافعا للتفكير في اليقظة والنهوض، واسترجاع الذاتية الإسلامية، وذلك بالتصحيح العقائدي، وتحسين الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع وتقويتها، فهذا يولد الإحساس بشرف الشخصية المستقلة وفضلها، وتجعل الإنسان يثق في نفسه وتدفعه إلى العمل، لأنه يثق في شخصية وطنه المستقلة، وقال في ذلك الصدد: "...والثقة التي يمنحها الإنسان لنفسه هي القوة العظمى التي تذلل كل الصعوبات، وهي القوة المحمودة في سبيل النفع العام، وبث جراثيم الفضل في غريزة العقل وتمديد الراحة للعموم وإشادة المجد الصميم(هكذا) للأمة والوطن...".[65]

وما يؤكد وطنية "بن قدور"، وحرصه على المقومات الشخصية للجزائر هو وقوفه ضد كل المشاريع الفرنسية، التي تهدف إلى طمس هوية الجزائر، مثل قوانين "التجنيس" وقانون "التجنيد الإجباري" كما سنلاحظه لا حقاً.

والظاهر أن دعوة "بن قدور" إلى الوطنية في وقت مبكر يفند مزاعم الكثير من المؤرخين الفرنسيين المهتمين بتاريخ الجزائر، في مقدمتهم "أجرون" الذي يذهب إلى أن كلمة "الوطنية" لم تستعمل في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية قبل 1914م، وأن جريدة "المنتقد" لصاحبها "ابن باديس" كانت السباقة إلى القول: "أن الجزائريين يشكلون أمة لها عرقها الخاص، ولغتها ودينها وتاريخها، وأن من حقهم أن يتبوءوا مكانتهم بين أمم

العالم"[66]. وكذلك رؤية المستشرق الفرنسي "جان بيرك" الذي يرى أن الوطنية في الجزائر قبل الحرب العالمية الأولى كانت غير دقيقة، وأن المؤرخ السياسي يجد صعوبات كبيرة في البحث فيها نتيجة غموضها[67].

3- موقفه من التجنيس:

من بين الأساليب التي لجأت إليها الإدارة الفرنسية، بهدف القضاء على المقومات الشخصية للجزائر، منح الجنسية للجزائريين مقابل تخليهم عن أحوالهم الشخصية، كما كانت تهدف من وراء ذلك إلى خلق جيل متعاون ومطيع لها، وذلك بموجب العلاقة القانونية التي تربط المتجنس بإدارة الاحتلال، لذلك اعتُبرت قضية التجنيس في نظر المصلحين الجزائريين من الأولويات التي يجب محاربتها.

وكغيره من المصلحين بادر "بن قدور" إلى مقاومة التجنيس عبر الصحافة الوطنية والعربية، التي نلمس من خلالها رفضه الصريح لكل محاولات الدمج والامتزاج بالعنصر الأوروبي، وتشبثا قويا بالمقومات الأصيلة للشعب الجزائري المسلم، وما يؤكد ذلك قوله"...إننا قوم لنا قومية عروقها متينة، وحلَّة قيمتها ثمينة، وإن أصبب أعضاؤنا بخذر نتيجة الحوادث فإن الأمل أنه خذر قصير المدة وسينقطع، وتتحرك أعضاءنا بنشاط تام، فما لنا رغبة في الاندماج بفرنسا ولا بغيرها من الأجناس وما لنا رغبة في نيل حقوق تجر لنا الويل والدمار..."[68].

ونستشف من خلال هذا الذي ذكرناه أن "بن قدور" كان رافضا لكل أشكال التجنيس، ورافضا لكل الحقوق السياسية والاقتصادية التي تجعل المسلم فاقدا لمقوماته الشخصية.

ويَعتبر "بن قدور" أن ما طبق على يهود الجزائر الذين حصلوا على الجنسية الفرنسية لا يمكن تطبيقه على الأهالي المسلمين، لأن المسلم في نظره صادق ومتميز عن اليهودي المتذبذب، الذي يضحي بكل شيء في سبيل الكسب المادي.

ويعتقد "بن قدور" أنه إذا أرادت الحكومة أن ترتقي بمسلمي الجزائر عليها أن ترفع عنهم القوانين الجائرة(قانون الأهالي) وتخفف عنهم عبء الضرائب، وتمنحهم تعليما راقيا، مبنيا على تعاليم الدين الإسلامي، ويبين ذلك بقوله:"...إن الشعب الإسلامي بالقطر الجزائري هو غير الشعب الإسرائيلي الذي ضموه إليهم، إنه شعب ذو أباء ومجد، ولديه ضمائر طاهرة من كل غش، فيكفي لترقيته أن يرفعوا عنه ما أجحف بصلاحيته من القوانين الاستثنائية، وأثقال الضرائب ثم ليدفعوا له من نفس سنة القومية التي حاد عنها وتنكب عن طريقها تعليما إسلاميا صحيحاً..."[69].

وفي نظر "بن قدور" أن الرقي والازدهار لا يأتي عن طريق الحصول على الحقوق السياسية كما يدعي الشباب المتفرنس، ولكن يجيء عن طريق التعليم فهو وحده الذي يرفع المسلمين الجزائريين من وهدة الشقاء، وأن القوة لا تأتي بذوبان المسلمين في الجنس الفرنسي، ولكن الحفاظ والتمسك بآداب الإسلام، والشعور العميق بالانتماء إلى هذا العنصر الشريف هو الذي ينفخ روح التآزر والتناصر بين مسلمين الجزائر"...فان كلمة الله أكبر لتوحد صفوفهم، وتمدهم بمادة الحياة والنمو لذلك ازداد عددهم ازديادا اندهش له الفرنسيون أنفسهم، أبعد كل هذه الدلائل يكون الاندماج في الآخر سبيل للحصول على الحقوق؟!..."[70].

كما كان "بن قدور" دائما يحذر الجزائريين من الانسياق وراء طروحات النخبة المفرنسة التي تريد أن تربط الجزائر"بالعائلةالفرنسوية"، ويرى أنه على "الشباب المتفرنج" إن كان يريد النهوض بأمته يجب أن يدعوها إلى التشبث بملتها وقوميتها التي تكون سبب

سعادتهم وسعادة بني جلدتهم، ومما قاله في ذلك:"...إن اندماج المسلمين بالعائلة الفرنسوية خطر محض، وبوار لقومية عنصر شريف ينتمي إلى أمة عظمى ويتمسك بأهداب ملة تأبى عليه المروق منها، فلو أنصف هؤلاء النفر(يقصد المتفرنجين)لا حلوا ملتهم وقوميتهم المحل اللائق بها ثم تشبثوا بكل ما يصح لهم التشبث به في طلب سعادة بني جلدتهم ورفاهيتهم..."[71].

ويوضّح "بن قدور" أن فكرة التمدن هي من أهم الوسائل التي اعتمد عليها الاستعمار للقضاء على الدين الإسلامي، وهذا ما نلمسه في مقال مطول نشره في جريدة "الصديق" تحت عنوان:"بأي روح نمتزج"، بين فيه كيف تتلاعب أمواج المدينة الفرنسية بالشباب الجزائري، حيث تجرده من كل القيم الدينية والأخلاقية، وقارن بين ما كان عليه المسلمون الأوائل من اعتزاز بقوميتهم وانتمائهم، فكان ذلك سبب انتصاراتهم، وبين ما هم عليه المسلمون اليوم من انسلاخ وانحلال وتخاذل ،فكان ذلك سببا مباشرا في هزائمهم المتوالية، وقد عبر عن ذلك بقوله:"...ثم إن الأمر بعد أن انطلت الحيلة عليهم من تمدن الغربيين تفاقم شره بصورة صار الدعاة فيه يحشرون المسلمين في الاندماج والامتزاج بروح طارئة، ويزينون لهم حضارة العصر بتزيين عجيب، ونسوا معه حقوق الدين وسماحة اليقين، وحسبوا أن التمدن هو هتك للدين والتخلق والتملق الظاهرين وأن ما عداه ضلال وغرور..."[72].

والتفرنج في نظر "بن قدور" يجر المسلم إلى المحرمات والعادات السيئة "كشرب الخمر..."[73]، لذلك يفضل الفقر والحرمان عن الحقوق السياسية التي تجر أصحابها إلى انتهاك حرمات الدين والأخلاق الكريمة، وهذا ما نلمسه في قوله:" إن الروح التي نطلبها ونأمل أن نمتزج بها هي روح مكارم الأخلاق لا روح جنسية طارئة، ولا روح جنسية بائدة، فخير لنا أن تكون قلوبنا طاهرة نقية من دنس البشرية ونحن في أدنى

درجات المدنية، لأن طهارة قلوبنا لابد أن تقاوم القوات الأخلاقية وتدفعها متقهقرة إلى الوراء، وتأخذ بأيدينا إلى أعلى مراتب المدينة والحضارة، والأحسن بنا أن تكون في قلوبنا روح الإيمان الصحيح تامة كاملة ونحن مرتدون بأخلق الثياب وأردئ الأردية...."[74].

وفي رده على أحد المتفرنجين وهو المحامي "عمر بوضربة" الذي ألقى يوم 24أفريل 1914 خطابا بمناسبة تعيين "لوتو" حاكما عاما على الجزائر، ومما جاء فيه: "من الضروري أن يتحرر الأهالي من النفوذ الديني الذي يعترض سبيل تطورهم"[75]، تعجب "بن قدور" لحال هؤلاء الذين اختارهم الشعب الجزائري لتمثيله والدفاع عنه، ولكن بمجرد وصولهم إلى المجالس يرتمون في أحضان المدينة الغربية، وبدل عملهم على ترقية الأهالي، يدعون بأنهم متمدنون، وعلى الأهالي أن يتخلصوا من قيود الدين حتى يمكن تحقيق الاندماج مع فرنسا!. لذلك دعاهم إلى التوبة، وخاطبهم قائلا: "..قفوا أيها المتفرنجون عند حدودكم ودعوا الدين لأهله، فإنكم لستم في العير أو النفير، ولكم في شهواتكم سعة، فاسرحوا فيها وتلذذوا كما تريدون وتمتعوا بها إلى حين، ولا تدعوا أنكم زعماء الأمة وأنكم حماتها وأنصارها، وأنكم شبيبتها الراقية، وأنكم العصريون...فإن للأمة أنصارها في الباطن والظاهر متمسكين بعروة الدين الوثقى..."[76].

وإن كان الكثير من الباحثين يعتقدون بأن المصلحين الجزائريين لم يكفّروا المتجنسين، إلا بعد الحرب العالمية الأولى، نتيجة زيادة التماس المواطنة الفرنسية، على إثر قانون(4 فيفري 1919م) "الذي وسع القاعدة الانتخابية للمسلمين وسهل عليهم الحصول على المواطنة الفرنسية"، مما أدى إلى بلوغ معدلات المتجنسين مستويات مخيفة. إلا أننا نجد "بن قدور" في بداية القرن العشرين اعتبرهم ملحدين وجبت عليهم التوبة[77].

4- بن قدور وقانون التجنيد الإجباري:

يعد قانون التجنيد الإجباري من أهم القضايا السياسية التي شغلت فكر "بن قدور"، حيث نجد أن اهتماماته بهذه القضية تعود إلى سنة 1908م، أي منذ أن كان قانون التجنيد مجرد مشروع، وذلك من خلال كتاباته في جريدة "التقدم" التونسية وجريدة "الحضارة" التركية. والظاهر أنه في هذه الفترة لم يتخذ موقفا واضحاً من هذا المشروع القاضي بإجبارية تجنيد الجزائريين، فاكتفى بنقل موقف اليهود والكولون الذين اعتبروه تهديدا صارخا لمصالحهم في الجزائر، وباباً لمطالبة الجزائريين بحقوقهم السياسية.

ومن بين المواقف التي رصدها لنا "بن قدور موقف " جريدة "Le Nouvelle "، حيث كتبت: "...اعلموا أنكم مهما أقدمتم على هذا الأمر الذي يهددنا بخطر عظيم، لا بد أن تضطروا لمنح الحرية للمسلمين حتى في الانتخاب النيابي، وحينئذ تصيروا ماسحي الأحذية...والفلاح في كوخ القصب يحمل أوراق الانتخاب، وقد يصير لهؤلاء الحق في التربع على دسة النيابة والإشارة المالية العالية والرياسة البلدية وبقية المناصب..."[78].

وربما عدم اتخاذ "بن قدور" موقفا واضحا من المشروع يعود إلى استبعاده لفكرة تطبيقه، سيما أمام الحملة التي شنها ضده الكولون الخاشين على مصالحهم، والجزائريين الذين اعتبروه مساسا بدينهم.

لكن لما تقدم السيد "ميسيمي" بطرح المشروع للمصادقة عليه من طرف البرلمان الفرنسي، وتأكد "بن قدور" أنه سيصبح ساري المفعول، لما يتميز به "ميسيمي" من نفوذ في الحكومة الفرنسية، عمد إلى مقاومته، وتنبيه المسلمين بمخاطره وتوعيتهم بالنتائج الوخيمة المترتبة عنه، ففي مقال مطول نشره في عدة أعداد في "الحضارة" التركية وأعاد نشره في "المشير" التونسية عبر عن موقفه الرافض لفكرة تجنيد الجزائريين، وحاول تبرير موقفه وموقف أغلب الجزائريين، بأن فرنسا لا يمكن أن تلزم الجزائريين بالتجنيد لأنهم –

في نظره- "أشد الناس حرصا على الدين ولو بغير معرفة لأسراره" وأنهم ظلوا متمسكين به، وظل يرن في قلوبهم طيلة الاحتلال الفرنسي للجزائر، ووضح بأن الجزائريين لا يفُرون من الخدمة العسكرية كونهم يخشون الموت، "كلا بل ظننا بذلك الاسم الذي ظل يرن في قلوبهم، وخوفا عليه من عواصف الظلال التي تهب في أركان وجدران الثكنات ومواطن الوغى..."[79].

ففرنسا اللادينية التي "طلقت الدين بثلاث" حسب تعبيره، لا يمكن أن تجبر المجندين على تأدية فرائض الدين، ويمكن كذلك أن تدفعهم إلى محاربة إخوانهم في الملة، ويتساءل "بن قدور" قائلاً: "...هل يعقل أن لا تدفعهم إلى محاربة إخوانهم في الدين كالمراكشيين؟ ما أظن هذا من وظائف دولة طلقت الدين بثلاث..."[80].

ويبدو أن "بن قدور" كان ضد موقف "النخبة المفرنسة" القائل: "الحقوق السياسية مقابل التجنيد"، لأن ما فائدة هذه الحقوق بعد أن يفقد المرء دينه وأخلا قه، والمصيبة تكون أضعافا "لأن الأطفال الذين يؤدون الخدمة العسكرية تنطبع في أعماق قلوبهم طباع أجنبية فاسدة، وأخلاق خبيثة، فيخرجون وهم يزدرون بعقائد أبائهم ويسخرون من طبائعهم ...لا سيما إذا منحت لأولئك الأطفال العسكريين حقوقا تجعلهم في أعلى عليين ومنعت آباءهم فأبقتهم في أسفل السافلين، ولعل هذا هو غرض فرنسا..."[81] .

والحق أن تنبأ "بن قدور" كان في محله، وهذا ما يظهر من خلال إصلاحات فيفري 1919م، التي اشترطت أن لا يحصل الجزائري على الجنسية الفرنسية والحقوق السياسية الأخرى إلا بعد أن يكون قد "جند في الجيش الفرنسي أو تحصل على وسام شرف من فرنسا[82].

وبعد ما قدم "بن قدور" هذه الدلائل أكد بأن مسألة التجنيد الإجباري مسألة دينية لا نقاش فيها، ومما قاله في ذلك: "...لقد تقرر أن مسألة التجنيد الإجباري مسألة

دين وقومية، ومن ذا الذي يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ويقاتل في سبيل الطاغوت، والله تعالى يقول:((وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)) أفلا تفتكر فرنسا في المسألة جيدا، بالله إنها لئن تفكرت تفكير المنصفين لتجدن نفسها مخطئة، وأنها جنت على الإسلام جناية لا تغتفر، لأنها لم تحترمه، ولم توقره، ولم تقدره..."[83].

كما كان "بن قدور" يشيد بمواقف الرافضين للمشروع، مثل أستاذه "عبد الحليم بن سماية" الذي ناب عن أعيان العاصمة في المجلس البلدي، ليبدي رفضه وجميع المسلمين من قانون التجنيد الإجباري، ومما قاله "بن سماية" في هذا المجلس بعد ما استدل بكثير من الآيات القرآنية: "...إن المسلمين إذا أدوا الخدمة العسكرية للدولة الفرنسوية لا يكونون مسلمين بجميع معاني الكلمة..."[84].

والظاهر أن "بن قدور" – رغم رفضه لفكرة التجنيد – كان يدرك أن فرنسا ستطبقه لا محال، لأنها في حاجة ماسة "لتقوية بأسها الحربي بأبناء العرب الأشداء"، وما يزيد من تأكده من تطبيقه هو النفوذ الذي كان يتمتع به صاحب المشروع، الذي أصبح وزيراً للحربية، حيث قال فيه "بن قدور": "...والذي يعرف المسيوميسيمي صاحب مشروعها لما كان مستشارا بالوزارة الحربية الفرنسوية لا يتعجب من نشرها اليوم وصاحب المشروع أصبح الآن وزير الحربية للدولة الجمهورية، والناس لم ينتبهوا لها بعد، ولكني علمت من مصدر يوثق به أن نواب المسلمين بالعاصمة اتصلوا بلائحة من الحكومة تتضمن استشارتهم بأي وسيلة تتمكن بها الحكومة من إعلان المسلمين بأن أوان التجنيد قد حان دون أن يفزعوا من هذا الإعلان..."[85].

فقناعة "بن قدور" أن التجنيد أصبح حقيقة لا مفر منها، جعلته يستغل الفرصة ويطالب إدارة الاحتلال بضرورة تحسين أحوال المسلمين، وتوسيع من دائرة تمثيلهم

النيابي، فقال: "...وإذا أرادت أن تجند أبناء المسلمين، فلتفصل بينهم وبين أسوء ما هم عليه بسياج من حديد، ولا تقاتل بهم إخوانهم في الدين....وتمنحهم الحرية التامة فيَنتَخبون ويُنتَخبون..."[86].

لكن يبدوا من خلال كتاباته في "الفاروق" أن موقف "بن قدور" قد تغير جذريا، وأصبح من المنادين بالتجنيد، فدعا إلى ضرورة الوقوف مع فرنسا في حربها ضد الألمان (الحرب العالمية الأولى) وهذا ما نلمسه في مقال "طور جديد للجزائر وللجزائريين"، الذي دعا فيه الأولياء إلى قبول الأمر الواقع، مقدما النصح لهم بأن يعملوا على ترسيخ التربية الدينية في قلوب أولادهم ليحصنوا أنفسهم من ارتكاب المعاصي أثناء وجودهم في الخدمة، حيث قال: "...إن فرنسا تطلب الجندية، وأنها لتسعد بنا في ميدان الحرب، فلنعطيها أطفالنا، ولكن بعد أن نملأ أوعية قلوبهم إيمانا، وعواطفهم إحسانا...وأخلاقهم حسناً وجمالا، حتى تزداد ثقتها بنا..."[87].

ثم يذهب "بن قدور" في موقفه إلى أبعد من ذلك، فأصبح يحرص على نشر إعلانات فرنسا الداعية إلى التجنيد، مثل "بلاغ" الوالي العام "شارل لوتو" المؤرخ يوم 03سبتمبر 1914م، الداعي إلى ضرورة مساندة مسلمي الجزائر لإخوانهم الفرنسيين[88] !

وفي مقال "إلى الشعب الإسلامي" اعتبر "بن قدور" أن الوقوف إلى جانب فرنسا سيفتح للجزائريين أفاقا جديدة، فبه يبرهن الشعب المسلم على سماحته وإخلاصه، ومن خلاله يمكن رد الجميل لفرنسا "ربة الحرية والشهامة"[89].

وهذا تناقض صارخ في مواقف "بن قدور" الذي كان يطالب بضرورة تغير فرنسا لسياستها في الجزائر، وأن تسوس المسلمين بسياسة اللين، وأن تعمل على تغيير الأخطاء "المبثوثة في الدستور الفرنسي، وإلا سيكون مصير الجزائر الخراب" حسب تعبيره[90].

كما دعا الجزائريين إلى "الثبات والهدوء، وعدم التأثر بالوعود الوهمية الكاذبة، والدسائس الأجنبية"[91]، وربما كان يقصد بالدسائس الأجنبية "الدعاية الألمانية والمتعاونين معها من الجزائريين".

فما سر تحول مواقف "بن قدور" وتناقضها؟، فهل مشكلة التجنيد عند "بن قدور" في محاربة الجزائريين لإخوانهم المسلمين فقط؟. وإن كان يرى أن تلك هي المشكلة، أفلا يمكن للجنود الجزائريين أن يحاربوا العثمانيين المسلمين المتحالفين مع ألمانيا، خاصة إذا علمنا أن "بن قدور" كان من أشد المدافعين عن "الخلافة العثمانية الإسلامية" كما سنرى لاحقا؟!.

من خلال استقراء كتابات "بن قدور" في هذه الفترة، يمكن استنتاج أسباب هذا التحول والاعتبارات التي حملته على قبول التجنيد الإجباري، والتي يمكن تلخيصها في ما يلي:

أولاَ: خشية "بن قدور" على نفسه وعلى جريدته من التعطيل، لأن الحكومة في هذه الأثناء المشحونة كانت تراقب كل ما يكتب قبل أن يتم نشره في الجرائد.

ثانيا: اعتباره أن مساعدة فرنسا في حربها ستجعلها تستجيب لمطالب الجزائريين، وهذا ما نلمسه في قوله: "...الفوز الذي ناله المناضلون منا بالجرمان، أجل إن الفوز العظيم للسياسة الإسلامية الإفريقية، قد أتى طور جديد للجزائر والجزائريين ... فرفع كاهل مسلمي الجزائر وخفف عنهم ويلات الضغط..."[92].

فيبدو أن "بن قدور" كان مؤمنا بالوعود الفرنسية، وبقرارات "البرلمان الفرنسي" التي حتمت على الحكومة ضرورة تحسين أحوال المسلمين، وقد نشر "بن قدور" في هذه الفترة أغلب هذه القرارات التي ألحت على ضرورة تحقيق المساواة في دفع الضرائب بين الأهالي والكولون، وتوسيع دائرة تمثيل الجزائريين في النيابات المالية، ومجالس العملات، وإعادة

النظر في قانون الأهالي، وأهم قرار هو القرار المؤرخ يوم 9فيفري 1914م، حيث قال فيه "بن قدور": "...إنه ليليق بالجزائريين أن يمجدوا يوم 09فيبراير، لأنه اليوم الذي نفضوا فيه غبار الضغط على رؤوسهم، مرتاحين إلى دور جديد أقبل بحسناته على ديارهم..."[93].

ولكن رغم ذلك يبقى "بن قدور" من الأوائل الذين نددوا صراحة بفكرة التجنيد الإجباري في الصحافة العربية خارج الجزائر، لأنه يتعارض مع العقيد الدينية للجزائريين، ولكن لما وجد نفسه أمام الأمر الواقع حاول استغلال الظرف للاستفادة من الوعود الفرنسية، كما أنه كان يدرك بأن فرنسا في حالة معارضتها ستنزل عليه وعلى جريدته أقسى العقوبات لذلك كان في خطابه يستعمل نوع من "التقية السياسية".

– الخلاصة:

مما تقدم نستنتج "بن قدور" رغم تصريحه بالابتعاد عن السياسة، إلا أن غيرته المتدفقة ووطنيته الكبيرة، جعلته يقف ضد أغلب المشاريع الاستدمارية للحكومة الفرنسية في بداية القرن الماضي.

والملاحظ أن لهجة "بن قدور" كانت مختلفة بين ما كان يكتبه في "الحضارة" التركية والجرائد التونسية، وما كتبه في الجزائر،وذلكربما حفاظا على جريدته من التعطيل، وهي حقيقة أكدتها إحدى التقارير الفرنسية التي ذكرت أن "بن قدور" كانت رسائله الموجهة إلى الصحافة العربية في مصر وتركيا وتونس "تحمل انتقادات لاذعة لسياسة فرنسا في شمال إفريقيا"[94].

ويبدو أن ما تحكم في مواقف بن قدور السياسية هو استيائه العميق من معناة بني جلدته جراء القوانين الفرنسية وسيطرة الكلون الذين جعلوا من المسلم مجرد عبيد. وكان بن قدور ينطلق في تفسير مواقفه من منطلقات دينية وحضارية، فرفض التجنيد لأنه بمثابة مولاة قوة

كافرة، والتجنيس لأنه يفرض على المسلم التخلي عن أحواله الشخصية وهذا ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية، لذلك كل من تجنس في نظر بن قدور قد ارتد عن دينه. ومما لا شك فيه أن مواقف بن قدور ومواقف النخبة الإصلاحية في وقت مبكر من القرن العشرين هي التي صاغت قواعد الخطاب الإصلاحي الذي قاده بن باديس وعلماء الجزائر منذ 1925م بعد تأسيس جريدة المنتقد الذي توج بتأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م.

الإحالات والهوامش:

[1]– جريدة الفاروق: أصدرها عمر بن قدور الجزائري،ظهر العدد الأول منها يوم 28فيفري 1913م وهي جريدة أسبوعية إخبارية مصورة، تظهر كل يوم جمعة، وهي جريدة أدبية إسلامية علمية"لأنها تهتم بالعلم والأدب بصورة فعلية، ومواضيعها الاجتماعية تهم الناس كثيرًا.." وما يدل على نزعتها الإسلامية هو الاسم الذي اختاره لها "بن قدور" فسماها "بالفاروق" تيمنًا بالخليفة "عمر بن الخطاب" (ض)، وحتى "تكون فارقة بين الحق والباطل، وآمرة بالمعروف وناهية عن المنكر..." كما يقول منشؤها.صودرت سنة 1915م، ثم عادت 1920م لتتوقف نهائيا سنة 1921م بعد صدور 96 عدد منها.

[2]– الصديق:ظهر العدد الأول منها يوم الجمعة 12أوت 1920م، وهي "جريدة علمية أدبية سياسية اقتصادية، تصدر مرتين في الأسبوع في يوم الجمعة والأثنين"، وقد تولى إدارتها ورئاسة تحريرها "بن قدور"، أما "بن بكير" فقد كان وكيلها ومتصرفها الإداري. ولكن "بن قدور" لم يستمر طويلا في هذه الجريدة، فسرعان ما تركها وهي في عددها السابع مفضلا إعادة إصدار فاروقه مرة أخرى، ليتولى رئاسة تحريرها "المولود بن محمد الزريبي"، الذي استمر فيها إلى غاية توقفها نهائيا عام 1922م بسبب مضايقات الإدارة الاستعمارية.

[3]– انظر: الفاروق، ع 1، 28فيفري 1913م.

-[4]Associations Cultuelles musulmanes ;in :A.N.A;IBA/CUL-018; N°0881.

[5]- صالح خرفي، "عمر بن قدور رائد الصحافة الوطنية الجزائرية"، مجلة الحياة الثقافية، ع 32(عدد خاص بالجزائر) ، تونس 1984،ص 39.

[6]- جريدة الفاروق، ع 57 ، 20 أفريل 1914م.

[7] - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954 ،ج5 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998م،ص ص 276- 277.

[8] - زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر،دط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون،الجزائر، 1999م،ص 54.

[9]- الشيخ محمد السعيد بن زكري: ولد ببلاد زواوة وبعدما حفظ القرآن التحق بأخيه الأكبر "عبد الرحمان" الذي كان مدرسا في زاوية" عبد الرحمان الأبلولي" ومن هنالك انتقل من زاوية إلى أخرى لإتمام دراسته ثم دخل العاصمة ودرس بزاوية "سيدي محمد عبد الشريف"، ثم عين مدرسا "بالجامع الكبير"، وبعد ذلك إماما "بجامع سيدي رمضان" ثم مفتي المالكية سنة 1908م ، توفي سنة 1914.انظر:- سعد الدين بن شنب، "النهضة العربية في الجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة"، مجلة كلية الآداب، ع1،جامعة الجزائر1964م،ص47.

[10]- بن قدور، "الى الروح المقدسة" ، الفاروق، ع 57 ، 20 أفريل 1914م.

[11] - بن قدور، "والدتي! أستاذي"، الفاروق، ع81 ،9 أكتوبر 1914م.

[12]- بن قدور، "اللمع في إنكار البدع"، الفاروق، ع 52، 16مارس 1914م.

[13]- بن قدور،" الخدمة العسكرية والرفض الأخير"، جريدة الحضارة التركية، ع 69، 29 أوت 1911م،نشر وتعليق: خرفي، الثقافة، ع3 ، جويلية 1971، ص ص 127- 132.

[14]- الفاروق ، ع4، 21مارس 1914م.

[15]- ناصر محمد، أبو اليقظان وجهاد الكلمة ، ط2، منشورات ألفا ، قصر المعارض ، الجزائر 2006م، ص 191 .

(16)- مفدي زكريا ، تاريخ الصحافة العربية ، تحقيق: أحمد حمدي ، د ط ، دار هومة ، الجزائر 2003م ، ص58.

(17)- جريدة الإسلام: هي جريدة أسبوعية ظهرت بعنابة سنة 1910م لصاحبها " الصادق دندان"، ثم تحولت سنة 1912م الى العاصمة، وكانت في أول أمرها تحرر بالفرنسية ومنذ 26 جويلية أصبحت تصدر نسخة اخرى بالعربية، وتوقفت النسخة العربية سنة 1913م نتيجة العجز المالي واستمرت النسخة الفرنسية في الصدور الى غاية الحرب العالمية الاولى 1914م، للمزيد انظر: - ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847الى 1954 ، ط2، ألفا ديزاين ، الجزائر ، 2000م، ص ص 39-40.

(18)- بن قدور، " نحن والأفاكون"، الفاروق، ع4، 21مارس1913م.

(19) - A.O.M :12H06.

(20)- الطيب بن عيسى: صحافي تونسي، من أصل جزائري، درس بالزيتونة ساهم منذ نشأته في تحرير عدة صحف، وفي سنة 1911م اصدر "جريدة المشير" وحولها سنة 1920م إلى "جريدة الوزير"، للمزيد انظر: - صالح الجابري ، رحلات جزائرية، دط ، دار الحكمة، الجزائر 2007م ، ص 19.

(21)- الطيب بن عيسى، "وفاة رصيف كبير"، جريدة الوزير التونسية، ع384، 18 فيفري 1932.

(22)- مرشد الأمة: جريدة أسبوعية علمية سياسية تخدم الملة والوطن، صدرت سنة 1909م، لصاحبها "سليمان الجادوي" تعطلت على إثر حوادث "الزلاج" سنة 1911م، للمزيد انظر: - اللولب حبيب حسين، دور الصحافة العربية في تونس في تفعيل الوعي الوطني 1860-1914م، رسالة ماجستير (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2000م، ص 56.

(23)- بن قدور، " مقابلة رصيف كريم"، جريدة الأخبار، ع 13650، 1910/10/02م.

(24)- حسين الجزيري (1895- 1974م): هو من أبرز الصحفيين والمناضلين التونسيين ، درس بالزيتونة وانخرط في الحزب الدستوري، أصدر سنة 1921م جريدة "النديم" الأسبوعية، ومن مؤلفاته "تنبيه الغلام إلى شيم الكرام" و"ديوان شعر" ساهم في تحرير بعض الصحف الجزائرية مثل الفاروق، للمزيد انظر:- محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت

1982م، ص 29. وكذلك: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات) في تونس 1905-1925، ج1، د ط، ش .و.ن .ت، الجزائر، 1976، ص ص 66- 68.

(25)- صالح الجابري، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية (1911م)، ج1، دط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982، ص 131.

(26)- بن عدة عبد المجيد، الخطاب النهضوي في الجزائر 1925- 1954م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دلة في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2004-2005 ، ص 47.

(27)- بن قدور الجزائري ،الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة ، ج1 ، دط ، فرانك إي سولال، الجزائر 1928م،ص 216.

(28)- بن قدور، "الشعور الإسلامي في الجزائر"، اللواء المصرية، ع1954، 06فيفري 1906م. نشر وتعليق: خرفي، الثقافة، ع 07، مارس 1972م، ص 118.

(29)- ناصر،"رائد الدعوة إلى التضامن الإسلامي عمر بن قدور الجزائري"، الأصالة، ع 57-58، جوان-جويلية 1978م، ص ص 63-64.

(30)- إحدادن، أعلام الصحافة الجزائرية، ج2، دط، دار إحدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص 12.

(31)- جريدة الحضارة: أصدرها عبد الحميد الزهراوي بمساعدة شاكر الحنبلي في الأستانة، وفي سنة 1910م استقل بها لوحده، وهي جريدة إصلاحية وسياسية تعبر عن أفكار الزهراوي الرافضة لسيطرة الإتحادين والساخطة على الانحطاط العربي والإسلامي، للمزيد انظر:- محمد راتب الحلاق، عبد الحميد الزهراوي، دراسة في فكره السياسي والاجتماعي، دط، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1990م، ص 74.

(32)- عبد الحميد الزهراوي:(1871-1916م) هو من زعماء النهضة العربية في سوريا، ولد في حمص، قاوم السياسة الحامدية قبل الدستور(1909م) أصدر جريدة " المنير" و"الحضارة"، كما ساهم في تحرير عدة صحف "كالمؤيد"" والمقطم" المصرية و"المعلومات" التركية، وكان عضوا نائبا في "مجلس المبعوثان"، ترأس "المؤتمر العربي الأول" في باريس سنة 1913م، لذلك حكم عليه "جمال

باشا" بالإعدام الذي نفذ في أفريل 1916م، للمزيد انظر:- عبد الإله نبهان، عبد الحميد الزهراوي، القسم الأول، د ط ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1990، ص 39 وما بعدها.

(33)- جريدة التقدم: هي جريدة أدبية تجارية، صدر أول عدد منها يوم 30جويلية 1907م، وهي ذات اتجاه إسلامي لصاحبها "البشير الفورتي" ومساعدة "الشاذلي المورالي"،و"محمد الجعابي"، ومنذ 1908م أصبحت يومية، توقفت نهائيا على إثر حوادث الزلاج سنة 1911،للمزيد انظر: - اللولب، المرجع السابق، ص 45.

(34)- المشير والوزير: صدرت المشير سنة 1911م لصاحبها "الطيب بن عيسى"، كانت منبرا حرا للكتاب تونس والجزائر، توقفت سنة 1912، ثم حولها صاحبها إلى " الوزير"سنة 1920م، التي استمرت على نهج " المشير" توقفت سنة 1956م، للمزيد انظر:- نفسه، ص ص 81-86.

(35)- أشار إلى ذلك في: الأخبار، ع13659، 4 ديسمبر 1910م.

(36)- أشار بن قدور لذلك في: الأخبار، ع 13643، 14أوت 1910م.

(37)- جريدة الهلال: صدرت في أكتوبر 1906م، لصاحبها المعمر " غاستونفولبير" (G- Vulpillere)، كانت تصدر ثلاث مرات في الشهر، وهي مزدوجة اللغة، أشهر كتابها بالفرنسية كانوا معروفين بنزعتهم الاعتدالية أمثال"سبيلمان" (Spilman)، المعروف بدفاعه عن حقوق الأهالي ، أما المحررين بالعربية فهم "بن قدور" و"محمد بريزن"، توقفت سنة 1907م لأسباب مجهولة، للمزيد انظر:- ناصر، الصحف، ص ص 32-33.

(38)- إحدادن، " عمر بن قدور في جريدة الأخبار"، ص 70.

(39)- بيانات وتقارير حول علاقة الجزائريين بالشباب التونسي 1920- 1923م، في: الأرشيف التونسي، ملف رقم 19، علبة رقم 0003.

(40)- بن عيسى، المقال السابق.

(41)- الحق العنابي: هي جريدة أدبية سياسية أسبوعية، صدرت في عنابة، ظهر العدد الأول منها يوم 29جويلية 1893م، من طرف بعض الشبان الجزائريين وهم سليمان بن نقى، وعمر السمار وخليل قايد العيون، كانت تصدر باللغة الفرنسية، ثم أصبحت مزدوجة اللغة منذ العدد 16 (14جانفي 1894م)، وذلك نزولا عند رغبة المشتركين كما ذكرته الجريدة، توقفت يوم 18فيفري 1894 بعد

صدور 21عدد، بسبب دسائس اليهود الذين انتقدتهم، حسب ما بينته إدارة الجريدة في عددها الأخير انظر:- جريدة الحق العنابي، ع1، 29جويلية 1893م. وكذلك: ع16، 14جانفي 1894م. وكذلك: ع 21، 18 فيفري 1894م.

(42)- نجيب حاج، " مقدمة لمترجم كتاب في الزوايا خبايا"، الحق العنابي، ع17، 28جانفي 1894م.

(43)- بن قدور ،"هل افلح الجزائريون"، التقدم، ع 29 ، 5 مارس 1908م.

(44) - بن قدور ،" سياسة فرنسا في شمال إفريقيا "، الفاروق، ع 42، 6 جانفي1914 م .

(45) - نفسه.

(46) - بن قدور ، " هو قوات الأوروبيين "، المشير ، ع 29 ، 27 أوت 1911 م.

(47)- بن قدور،" سياسة فرنسا في شمال إفريقيا "،الفاروق، ع42، 6جانفي 1914م.

(48) - بن قدور، "هفوات لأوروبيين " ،المشير، ع31، 3ديسمبر 1919م.

(49) - بن قدور، "بين جدران المعمرين "،التقدم، ع35، 30افريل 1908م.

(50) - بن قدور ، "هفوات الأوروبيين" ،نفسه.

(51) - بن قدور، "سياسة فرنسا في شمال إفريقيا" ،الفاروق، ع42 ،6جانفي 1914م.

(52) - بن قدور، "تعصب ممقوت"،الفاروق، ع 44، 12جانفي 1914م.

(53)- بن قدور ، "بين جدران المعمرين" ، المصدر السابق.

(53)- بن قدور، "سياسة فرنسا في شمال إفريقيا"، الفاروق، ع 43 ،9 جانفي1914م.

(54)- نفسه.

(55)—عباس فرحات ، حرب الجزائر وثوراتها، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، دط، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، دت، ص 59.

(56)- نفسه، ص 50.

(57)- صالح الجابري، "من تاريخ التواصل الثقافي بين تونس والجزائر"، مجلة الحياة الثقافية، ع32، ص 16، نقلا عن: التقدم، 30أفريل 1908.

(58)– صالح الجابري النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس1900– 1962،ط 2 ،دار الحكمة للنشر،الجزائر2007م ، ص 158 .نقلا عن، التقدم ،27 فيفري 1908م.

(59)– إحدادن ،"عمر بن قدور في جريدة الأخبار"، ص 70،نقلا عن الأخبار، ع13520، 5افريل 1908م .

(60)– إحدادن، الصحافة المكتوبة ،ص 74.

(61)–أجرونشارل روبير، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871–1919م، ج1، ، ترجمة: م. حاج مسعود، ع. بلعربي، دط، دار الرائد، الجزائر، 2007.، ج1، ص 518.

(62)– بن قدور، " معضلات اليوم والغد"،الفاروق، ع2، 14مارس 1913 م.

(63)– ساحل عبد الحميد،أصول الفكرة الإصلاحية من خلال الصحافة الجزائرية 1903–1925م، رسالة ماجستير (مرقونة)، جامعة الجزائر،2000م– 2001م ، ص 140.

(64)– " معضلات اليوم والغد" ، ع09، 09أفريل 1913م.

(65)– نفسه.

(66)– أجرون، المرجع السابق،ج1، ص ص 518–519.

(67)–أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة 1954م، أطروحة دكتورة دولة (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2005–2006م ، ص 19.

(68)– بن قدور، "الخدمة العسكرية والرفض الأخير"،المشير، ع32 ،17 سبتمبر 1911م.

(69)– بن قدور، "حول المسالة الأهلية"، الفاروق، ع48 ،13 فيفري 1914 م.

(70)– نفسه.

(71)– بن قدور، "طور جديد للجزائر والجزائريين"،الفاروق ، ع49 ، 20 فيفري 1914م.

(72)– بن قدور،" بأي روح نمتزج "، الصديق، ع5 ، 30 أوت 1920م.

(73)– الفاروق ، ع5، 28 مارس 1913م.

(74)– بن قدور ،"بأي روح نمتزج"، المصدر السابق.

(75)– أجيرون، المرجع السابق، ج2، ص 719.

(76)– بن قدور، " بئس القول قول الأفاكين"، المشير، ع 21، 28ماي 1911م.

(77)– نفسه.

(78)– بن قدور، "الجزائر لحضرة مراسلنا"، التقدم، ع29، 25مارس 1908م.

(79)– بن قدور، "هفوات الأوروبيين"، المشير، ع32، 17سبتمبر 1911م.

(80)– نفسه.

(81)– نفسه.

(82)– أجرون، المرجع السابق، ج2، ص 881.

(83)– بن قدور، "هفوات الأوروبيين"، المصدر السابق.

(84)– بن قدور، "الرفض الأخير لمشروع التجنيد الإجباري"، المشير، ع 31، 10سبتمبر 1911م.

(85)– بن قدور، "هفوات الأوروبيين".

(86)– نفسه.

(87)– نفسه.

(88) – أُنظر نص الإعلان في: الفاروق، ع73، 10أوت 1914م.

(89) –بن قدور، إلى الشعب الإسلامي، الفاروق، ع73، 10أوت 1914م.

(90) – جريدة المشير، ع30، 03سبتمبر 1911م.

(91) – بن قدور، "إلى الشعب الإسلامي"، المصدر السابق.

(92)– بن قدور، "طور جديد للجزائر والجزائريين"، المصدر السابق.

(93)– الفاروق، ع49، 20فيفري 1914م.

(94)– بيانات وتقارير حول العلاقة بين الشباب الجزائري والوطنيين التونسيين، المصدر السابق.